توحيد الأسماء والصفات في كتاب القول المفيد شرح كتاب التوحيد لابن العثيمين

إيمان هجرس ar541

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرورأنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى أله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد فللشيح ابن العثيمين أسلوب فريد في شرح المتون فهو- ولعلمه الواسع - كان لا يترك معلومة في أي علم من العلوم الشرعية ألا وذكرها سواء بشرح مستفيض أو بشرح مقتضب أوحتى في بعض الأحيان يكون شرحه لهذه المعلومة تخولا و في العموم عند شرحه لأي متن تحصل على بقدر لا بأس به من المعلومات في علم اللغة من صرف ونحووغيره وفي علم الحديث وأيضا في الفقه وفي علم الجرح والتعديل وعلم العلل وكان يتوج هذا كله بمعلومات أساسية في علم العقيدة لأنه كان يعتبر أن العقيدة هي الأساس الذي ينبني عليه كل العلوم وهذا هو الاعتبار الذي يقوم عليه منهج اهل السنة .

ومن أهم الكتب التي شرحها الشيخ ابن العثيمين – في إعتقادي المتواضع – كتاب التوحيد في شرحه الماتع القول المفيد على كتاب التوحيد وسبب اعتقادي ذاك أن هذا الكتاب - وهو كتاب التوحيد- كان ولازال هو المرجع الأساسي لكل من أراد الابتداء في دراسة علم العقيدة لأنه يناقش أكبرأقسام العقيدة وهو التوحيد بل كان شبه متخصص في تأصيل توحيد الألوهية بأدلته - كتاب وسنة

- وهو حق الله على العباد وهو الذي به سيحاسب الخلق ويتمايزوا فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي جهنم خالدين فيها واما الذين سعدوا ففي الحنة خالدين فيها.

ثم يأتي الشيخ ابن العثيمين رحمة الله تعالى عليه ويضيف بشرحه للكتاب قيم أخرى في باقي أفرع العلوم الشرعية بل وفي أبواب العقيدة الأخرى فنجده يؤصل لتوحيد الربوبية في عدة مواضع ولم ينس توحيد الأسماء والصفات في شرحه الماتع فنجده يشرح أهمية توحيد الأسماء والصفات في موضع ويقعد القواعد المتبعة لا ستخراج الأسماء والصفات في الثاني أو يرد على شبهة أحد الفرق في موضع ثالث أو يأتي بأدلة ثبوت اسم أو صفة لله عز وجل أو أدلة نفي اسم أو صفة عنه سبحانه وتعالى .

ولذلك وقع اختيارنا – فضيلة المشرف الدكتور محمد البساطي ومن بعده شخصي المتواضع – على كتاب القول المفيد على كتاب التوحيد لاستخراج الدرر المكنونة التي ذكرها الشيخ رحمة الله عليه و ترتبط بتوحيد الاسماء والصفات سواء في تعريفها وأهميتها أو في ذكر لأحد قواعدها أو اثبات اونفي احد الصفات أو حتى ماذكره في الرد على الفرق التي خالفت أهل السنه في توحيد الأسماء الصفات.

ترجمة مختصرة للشيخ العالم الفقية
محمد بن صالح العثيمين
رحمه الله تعالى

مولده :

ولد في مدينة عنيزة – إحدى مدن القصيم – في المملكة العربية السعودية لسبع عشرين يوما خلت من شهر رمضان المبارك من عام 1347هـ.

نسبه :

نسبه لأبيه :

هو صاحب الفضيلة الشيخ محمد ابن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن آل عثيمين من الوهبة من بني تميم

نسبه لأمه :

جدّه لأمه هو المعلِم عبد الرحمن بن سليمان الدامغ – رحمه الله

دراسته وشيوخه:

- ألحقه والده – رحمه الله تعالى – ليتعلم القرآن الكريم عند جده المعلِم عبد الرحمن بن سليمان الدامغ – رحمه الله .

- تعلم الكتابة, وشيئًا من الحساب, والنصوص الأدبية في مدرسة الأستاذ عبدالعزيز بن صالح الدامغ – حفظه الله .

- التحق بمدرسة المعلِم علي بن عبد الله الشحيتان – رحمه الله – حيث حفظ القرآن الكريم عنده عن ظهر قلب وهو ابن أربعة عشر عاما .

- فانضم إلى حلقات الجامع الكبير بعنيزة في حلقة الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع ـ رحمه الله ـ حتى أدرك من العلم في التوحيد, و الفقه, والنحو ما أدرك.

- جلس تحت اقدام الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله, فدرس عليه في التفسير, والحديث, والسيرة النبوية, و التوحيد, والفقه, والأصول, والفرائض, والنحو, وحفظ مختصرات المتون في هذه العلوم،ويعتبر فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله – هو شيخه الأول،وقد ظهر ذلك في تأثره بمنهجه وتأصيله, وطريقة تدريسه، واتِباعه للدليل.

- قرأ على الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان – رحمه الله – علم الفرائض،وكذلك قرأ على الشيخ عبد الرزاق عفيفي – رحمه الله – في النحو والبلاغة أثناء وجودهما مدينة عنيزة .

- التحق بالمعهد العلمي في الرياض عامي 1372 – 1373هـ وا لتقى في معهد الرياض العلمي بالعلماء الذين كانوا يدرّسون فيه

حينذاك وتتلمذ عليهم ومنهم: العلامة المفسِّر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي, والشيخ الفقيه عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد, والشيخ المحدِّث عبد الرحمن الإفريقي – رحمهم الله تعالى.

- وفي فترة المعهد اتصل بسماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز – رحمه الله -, فقرأ عليه في المسجد من صحيح البخاري ومن رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية, وانتفع به في علم الحديث و النظر في آراء فقهاء المذاهب والمقارنة بينها, ويُعدُّ سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – هو شيخه الثاني في التحصيل و التأثّر به.

- تابع دراسته انتسابًا في كلية الشريعة حتى نال الشهادة العالية.

تصدره للتدريس :

- بدأ التدريس عام 1370هـ في الجامع الكبير بعنيزةوهو ما زال طالبًا في حلقة الشيخ السعدي رحمة الله عليه لما توسم فيه من النّجابة وسرعة التحصيل العلمي فشجّعه على التدريس.

- عُيِّن مدرِّسًا في المعهد العلمي بعنيزة عام 1374هـ بعد تخرجه من معهد الرياض العلمي .

- تولى إمامة الجامع الكبير في عنيزة , وإمامة العيدين فيه، و التدريس في مكتبة عنيزة الوطنية التابعة للجامع بعد وفاة الشيخ السعدي رحمه الله سنة 1376هـ.

- وضع الله له القبول في الارض حتى كان طلابه يبلغون المئات في بعض الدروس, فأصبحت المكتبة لا تكفيهم؛ وبدأ فضيلة الشيخ -رحمه الله – يدرّس في المسجد الجامع نفسه ,وبقي على ذلك,

إمامًا وخطيبًا ومدرسًا, حتى وفاته – رحمه اللّٰه تعالى -.

- انتقل إلى التدريس في كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, وظل أستاذًا فيها حتى وفاته- رحمه اللّٰه تعالى-.

- كان يدرّس في المسجد الحرام والمسجد النبوي في مواسم الحج ورمضان والإجازات الصيفية منذ عام 1402هـ , حتى وفاته – رحمه اللّٰه تعالى-.

مناصبه ومجهوداته في الدعوة :

تقلد الشيخ ابن العثيمين –رحمه اللّٰه تعالى - مناصب عده منها :-

- عضوفي هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية من عام 1407هـ إلى وفاته
- عضو في المجلس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في العامين الدراسيين 1398 – 1400هـ.
- عضو في مجلس كلية الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم ورئيسًا لقسم العقيدة فيها.
- عضو في لجنة الخطط والمناهج للمعاهد العلمية, وألف عددًا من الكتب المقررة بها.
- عضوفي لجنة التوعية في موسم الحج من عام 1392هـ إلى وفاته – رحمه اللّٰه تعالى – حيث كان يلقي دروسًا ومحاضرات في مكة والمشاعر, ويفتي في المسائل والأحكام الشرعية.

- رئيس جمعية تحفيظ القرآن الكريم الخيرية في عنيزة من تأسيسها عام 1405هـ إلى وفاته.
- ألقى محاضرات عديدة داخل المملكة العربية السعوديةوعلى فئات متنوعة من الناس, وخارجها عبر الهاتف على تجمعات ومراكز إسلامية في جهات مختلفة من العالم.
- قدم برنامج «نور على الدرب»الذي فيه يجيب على أسئلة المستفسرين حول أحكام الدين وأصوله عقيدة وشريعة.
- رتب لقاءات علمية مجدولة, أسبوعية وشهرية وسنوية.
- شارك في العديد من المؤتمرات التي عقدت في المملكة العربية السعودية.
- حصل على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام 1414هـ.

بعض مؤلفاته :

للشيخ رحمة الله تعالى عليه مؤلفات كثيرة ولخيرية الشيخ ابن العثيمين رحمه الله تعالى مجهودات في جمع وتفريغ محاضراته وله مؤلفات عدة وفي جميع المجالات منها :

- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ - عددها عشرون مجلداً
-تفسير القرآن الكريم .
- الشرح الممتع على زاد المستقنع .
- القول المفيد على كتاب التوحيد وهو الذي بين أيدينا اليوم للمناقشة.

- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى
- أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنة منها

وفاته :

تُوفي – رحمه الله – في مدينة جدّة في الخامس عشر من شهر شوال عام 1421هـ, وصُلِّي عليه في المسجد الحرام ودفن في مكة المكرمة.

أولا

ما ورد عن توحيد الأسماء والصفات وأهميتها

تعريف توحيد الأسماء والصفات[1] :

هو إفراد الله عز وجل بما ثبت له من صفات الكمال على وجه الحقيقة ، بلا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل .

وهذا يتضمن شيئين:

الأول: الإثبات، وذلك بأن نثبت لله - عز وجل - جميع أسمائه

[1] - ذكره الشيخ ابن العثيمين رحمة الله تعالى عليه في موضعين في مقدمة الكتاب ص16 وفي الحزء الثاني باب "قول الله تعالى (لله الاسماء الحسنى.....) :ص313.

وصفاته التي أثبتها لنفسه في كتابه أو سنة نبيه - صلي الله عليه وسلم -.

الثاني: نفى المماثلة، وذلك بأن لا نجعل لله مثيلا ً في أسمائه وصفاته؛

كما قال تعالى:

.[1](

يقول الشيخ ابن العثيمين- رحمه الله- "فدلت هذه الآية على أن جميع صفاته لا يماثله فيها أحد من المخلوقين؛ فهي وإن اشتركت في أصل المعنى، لكن تختلف في حقيقة الحال، فمن لم يثبت ما أثبته الله لنفسه؛ فهو معطل، وتعطيله هذا يشبه تعطيل فرعون، ومن أثبتها مع التشبيه صار مشابهاً للمشركين الذين عبدوا مع الله غيره، ومن أثبتها بدون مماثلة صار من الموحدين".[2]

ومن هذا الكلام تبين أن الناس في إيمانهم بالأسماء والصفات تنقسم إلى :

1- مؤمن موحد :وهو من اثبت الأسماء الصفات ولكن دون مماثلة .

2- نافي معطل :وهو من نفى الأسماء الصفات ولم يثبتها .

3- مشبه ممثل :وهو من اثبت الأسماء والصفات ولكنه شبهها بصفات المخلوقات وهذا لم يوحد.

ولذلك شرحه ابن العثيمين- رحمة الله عليه بقوله :" لأنك إذا عطلت لم تثبت ، وإن مثلت لم توحد ، والتوحيد مركب من إثبات ونفي ،

---

[1] - سورة الشورى اية (11).

[2] - في المقدمة ص16.

أي : إثبات الحكم للموحد ونفيه عما عداه ، فمثلا ً إذا قلت : زيد قائم ، لم توحده بالقيام ، وإذا قلت : زيد غير قائم ، لم تثبت له القيام، وإذا قلت: لا قائم إلا زيد، وحدته بالقيام وإذا قلت لا إله إلا الله وحده بالألوهية وإذا اثبت الله الأسماء والصفات دون أن يماثله أحد فهذا هو توحيد الأسماء والصفات ، وإن نفيتها عنه ، فهذا تعطيل ، وإن مثلت ، فهذا إشراك ".[1]

فائدة [2]:

واعلم أن التعبير بنفي التمثيل أحسن من التعبير بنفي التشبيه ، لوجوه ثلاثة :

أنه هو الذي نفاه الله في القرآن ، فقال :

) [3].

1. أنه ما من شيئين موجودين إلا وبينهما تشابه من بعض الوجوه ، واشتراك في المعني من بعض الوجوه ,فمثلا ً : الخالق والمخلوق اشتركاً في معني الوجود ، لكن وجود هذا يخصه ووجود هذا يخصه ، وكذلك العلم والسمع والبصر ونحوها اشترك فيها الخالق والمخلوق في أصل المعنى ، ويتميز كل واحد منهما بما يختص به.
2. أن الناس اختلفوا في معنى التشبيه حتى جعل بعضهم إثبات الصفات تشبيهاً ، فيكون معنى بلا تشبيه ، أي : بلا إثبات صفات على اصطلاحهم.

---

[1]- ذكره الشيخ رحمه الله تعالى في في الجزء الثاني باب "قول الله تعالى (لله الاسماء الحسنى.....) :ص313.

[2]- ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى في الجزء الثاني باب "قول الله تعالى (لله الاسماء الحسنى.....) :ص317.
[3]- سورة الشورى اية (11).

أهمية معرفة توحيد الأسماء والصفات :

لتوحيد الاسماء والصفات أهمية خاصة في حياة المسلم وقد ذكرها الشيخ رحمة الله عليه في طيات شرحه للكتاب نجمعها هنا :

1- تجد من هداه الله الصراط المستقيم مطمئناً منشرح الصدر، هادئ البال، يقرأ في كتاب الله وفي سنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- ، ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات؛ فيثبت؛ إذ لا أحد أعلم من الله بالله، ولا أصدق خبراً من خبر الله، ولا أصح بياناً من بيان الله؛ كما قال تعالى:

،[1]

،[2]

.[3]

2- الذي عرف أسماء الله وصفاته معرفة على ما جري عليه سلف هذه الأمة وأئمتها ، وعرف موجب حكمة الله ، أي : مقتضى حكمة الله ، لا يمكن أن يظن بالله ظن السوء .

3- من أبقي أسماء الله وصفاته على ما دلت عليه وسلك في ذلك مذهب السلف ، فإن قلبه لا يَردُ عليه الاعتراضات التي ترد على قلوب أولئك المحرفين.

4- هذا القسم من التوحيد هو الذي ضلت فيه بعض الأمة الإسلا مية وانقسموا فيه إلى فرق كثيرة؛ فمنهم من سلك مسلك

[1]- سورة النساء الاية(26).
[2]- سورة النساء الاية (176).
[3]- سورة النحل الاية (89).

التعطيل، فعطل، ونفى الصفات زاعماً أنه منزه لله، وقد ضل.

5- قال تعالى ( )[1] وفي الآية دليل على أن من أنكر اسماً من أسماء اللّه تعالى فإنه يكفر, ولأنه مكذب لله ولرسوله ، وهذا كفر.

6- الدعاء لله تعالى بها لقوله تعالى ( )[2] وان تتعبد لله بمقتضاها ,فإذا علمت انه رحيم تتعرض لرحمته ,وإذا علمت انه غفور تتعرض لمغفرته .

7- وهذا القسم من التوحيد هو الذي ضلت فيه بعض الأمة الإسلامية وانقسموا فيه إلى فرق كثيرة؛ فمنهم من سلك مسلك التعطيل، فعطل، ونفى الصفات زاعماً أنه منزه لله، وقد ضل.

8- قال تعالى (

)[3] توعد اللّه تعالى من يلحد في اسمائه

وتعريف الإلحاد في أسماء اللّه : الميل بها عما يجب فيها ، وهو أنواع[4] :

الأول : أن ينكر شيئاً من الأسماء أو مما دلت عليه من الصفات أو الأحكام ، ووجه كونه إلحاداً أنه مال بها عما يجب لها ، إذ الواجب إثباتها وإثبات ما تتضمنه من الصفات والأحكام

الثاني: أن يثبت لله أسماء لم يسم اللّه بها نفسه، كقوله الفلا

-[1] سورة الرعد الاية (30).

-[2] سورة الاعراف الاية (180).

-[3] سورة الاعراف الاية (180).

-[4] هذا ما ذكره الشيخ رحمه الله تعالى في الجزء الثاني باب "قول الله تعالى (لله الاسماء الحسنى.....) ص317.

اسفة في اللّه : إنه علة فاعلة في هذا الكون تفعل ، وهذا الكون معلول لها ، وليس هناك إله ؛ وبعضهم يسميه العقل الفعال ، فالذي يدير هذا الكون هو العقل الفعال ، وكذلك النصاري يسمون اللّه أباً وهذا إلحاد .

الثالث : أن يجعلها دالة على التشبيه ، فيقول : اللّه سميع بصير قدير ، والإنسان سميع بصير قدير ، اتفقت هذه الأسماء ، فيلزم أن تتفق المسميات ، ويكن اللّه سبحانه وتعالى مماثلا ً للخلق ، فيتدرج بتوافق الأسماء إلى التوافق بالصفات .

ووجه الإلحاد : أن أسماء دالة على معان لائقة باللّه لا يمكن أن تكون مشابهة لما تدل عليه من المعاني في المخلوق .

الرابع : أن يشتق من هذه الأسماء للأصنام ، كتسمية اللات من الإله أو من اللّه ، والعزى من العزيز ، ومناة من المنان حتى يلقوا عليها شيئاً من الألوهية ليبرروا ما هم عليه .

ومن الصور النهي عنها هو التنطع عموما والتنطع في الأسماء والصفات خاصة وقد قال الشيخ رحمه اللّه" والتنطع أيضاً في المسائل الدينية يشبه الغلو فيها، فهو أيضاً من أسباب الهلاك، ومن ذلك ما يفعله بعض الناس من التنطع في صفات اللّه تعالى والتقعر فيها، حيث يسألون عما لم يسأل عنه الصحابة رضي اللّه عنهم، وهم يعلمون أن الصحابة خير منهم وأشد حرصاً على العلم، وفيهم رسول اللّه الذي عنده من الإجابة على الأسئلة ما ليس عند غيره من الناس مهما بلغ علمهم"[1].

-[1] ذكره الشيخ رحمه اللّه تعالى في الجزء الأول "باب ما جاء أن كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين "ص

9- صور جحد الاسماء والصفات :[1]

الجحد : الإنكار

والإنكار نوعان :

الأول : إنكار تكذيب :وهذا كفر بلا شك ، فلو أن أحداً أنكر أسماً من أسماء اللّه أوصفة من صفاته الثابتة في الكتاب والسنة ، مثل أن يقول : ليس لله يد ، أو أن اللّه لم يستو على عرشه ، أو ليس له عين ، فهو كافر بإجماع المسلمين ، لأن تكذيب خبر اللّه ورسوله كفر مخرج عن الملة بالإجماع .

الثاني : إنكار تأويل : وهو أن لا ينكرها ولكن يتأولها إلى معني يخالف ظاهرها ، وهذا نوعان :

1- أن يكون للتأويل مُسَوّغ في اللغة العربية ، فهذا لا يُوجب الكفر .

2- أن يكون له مُسَوّغ في اللغة العربية ، فهذا حكمه الكفر لأنه إذا لم يكن له مسوغ صار في الحقيقة تكذيباً ، مثل أن يقول : المراد بقوله تعالى ( )[2] تجري بأراضينا ، فهذا كافر لأنه نفاها نفياً مطلقاً ، فهو مُكذّب .ولو قال في قوله تعالى : ( )[3] المراد بيديه : السماوات و الأرض ، فهو كفر أيضاً لأنه لا مسوغ له في اللغة العربية ، ولا هو مقتضى الحقيقة الشرعية ، فهو مُنكر ومكذب ، لكن إن قال : المراد باليد النعمة أو القوة ، فلا يكفر لأن اليد في اللغة تطلق بمعني ، قال الشاعر :

.378

[1] - ذكره الشيخ رحمه اللّه تعالى في الجزء الثاني "باب"من جحد شيئا من الاسماء والصفات "ص 183

[2] - سورة القمر اية (14).

[3] - سورة المائدة اية (64)

وَكم لِظلام الليل عندك من يَد تُحَدّثُ أنّ المانَويّةَ تكذبُ

فقوله : من يد ، أي : من نعمة ، لأن المانوية يقولون : إن الظلمة لا تخلق الخير ، وإنما تخلق الشر .

....

ثانيا

ما ورد عن القواعد العامة للاسماء والصفات

أولا: قواعد الأسماء:

الأسماء : جمع اسم ، واختلف في اشتقاقه ، فقيل : من السمو ، وهو الارتفاع ، ووجه هذا أن المسمي يرتفع باسمه ويتبين ويظهر.
وقيل : من السّمة وهي العلامة ، ووجهه : أنه علامة على مسماه ، و الراجح أنه مشتق من كليهما , والمراد بالأسماء هنا أسماء الله عز وجل.

وقد ذكر الشيخ ابن العثيمين بعض القواعد للاسماء كان ذكره لها عبارة عن شرحه للقاعدة مع ذكره انها قاعدة عند اهل السنة او يوجب العمل بها-بقوله يجب علينا - فيفهم انها قاعدة وقد تم جمعها جميعا في الاتي:

1- أسماء الله كلها حسنى[1] : أي : بالغة في الحسن أكمله ، فلابد أن تشتمل على وصف ومعني هو أحسن ما يكون من الأوصاف والمعاني في دلالة هذه الكلمة ، ولهذا لا تجد في أسماء الله تعالى

[1] - ذكر الشيخ رحمة الله عليه هذه القاعدة عند مناقشة "باب من سب الدهر فقد آذى الله" ص240 .

أسماً جامداً أبداً ، لأن الاسم الجامد ليس فيه معنى أحسن أو غير أحسن ، لكن أسماء الله كلها حسنى ، فيلزم من ذلك أن تكون دالة على معان ، والدهر اسم من أسماء الزمن ليس فيه معنى إلا أنه اسم زمن ، وعلي هذا ، فينتفي أن يكون أسماً لله تعالى لوجهين :

الأول : أن سياق الحديث يأباه غاية الإباء .

الثاني : أن أسماء الله حسنى ، والدهر اسم جامد لا يحمل معنى إلا أنه اسم للأقات.

فلا يحمل المعني الذي يوصف بأنه أحسن ، وحينئذ فليس من أسماء الله تعالى ، بل إنه الزمن ، ولكن مقلب الزمن هو الله ، ولهذا قال : " أقلب الليل والنهار " [1].

قوله " أقلب الليل والنهار " . أي : ذواتهما وما يحدث فيهما ، فالليل والنهار يقلب.

2- إحصاء اسماء الله تعالى وعددها[2]: أسماء الله ليست محصورة بعدد معين ، والدليل على ذلك قوله –صلى الله عليه وسلم - في حديث ابن مسعود الحديث الصحيح المشهور : " اللهم ! إني عبدك ، ابن عبدك ، ابن أمتك .. – إلى أن قال : أسألك بكل أسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك"[3] ، وما أستأثر الله به في علم الغيب لا يمكن أن يُعلَم به ، وما ليس بمعلوم فليس

---

[1]- البخاري في (التفسير , تفسير سورة الجاثية 219/3)ومسلم في الادب (باب النهي عن سب الدهر /17624).

[2]- ذكرها الشيخ رحمه الله تعلى في باب ص495وباب " من جحد شيئا من اسماء والصفات" الجزء الثاني ص183 و"باب احترام أسماء الله وتغيير الاسم لأجل ذلك" الجزء الثاني ص257 وباب الجزء الثاني ص183 .

[3]- الإمام أحمد في " المسند " (391/1 ، 452) ، وابن حيان (2372) ، والطيراني في " الكبير " (10352) ، والحاكم (509/1) ، الهيثمي (136/10) ، وقال : " رجال أحمد وأبي يعلي رجال الصحيح " ، وصححه ابن القيم في " شفاء العليل " (277) ، وأحمد شاكر في المسند (3712).

بمحصور,اما قوله – صلى اللّه عليه وسلم - : " أن لله تسعة وتسعين أسماً من أحصاها دخل الجنة "[1]، فليس معناه أنه ليس له إ لا هذه الأسماء ، لكن معناه أن مَن أحصى من أسمائه هذه التسعة و التسعين فإنه يدخل الجنة ، فقوله : " من أحصاها " تكميل للجمله ا لأولى ، وليست استئنافية منفصلة ، ونظير هذا قول القائل : عندي مئة فرس أعدتها للجهاد في سبيل اللّه ، فليس معناه أنه ليس عنده إلا هذه المئة بل معناه أن هذه المئة معدة لهذا الشيء .

وقد حاول بعض الناس أن يصحح حديث سرد الأسماء التسعة والتسعين، ولم يصب، بل نقل شيخ الإسلام اتفاق أهل المعرفة في الحديث على أن عدها وسردها لا يصح عن النبي –صلى اللّه عليه وسلم- ، وصدق رحمه الله بدليل الاختلاف الكبير فيها.

فمن حاول تصحيح هذا الحديث، قال: إن الثواب عظيم، "**من أحصاها دخل الجنة**"، فلا يمكن للصحابة أن يفوتوه، فلا يسألوا عن تعيينها فدل هذا على أنها قد عينت من قبل النبي عليه الصلاة و السلام .

لكن يجاب عن ذلك بأنه ليس بلازم، ولو عينها النبي –صلى اللّه عليه وسلم -، لكانت هذه الأسماء التسع والتسعين معلومة للعالم أشد من علم الشمس، ولنقلت في "الصحيحين" وغيرهما، لأن هذا مما تدعو الحاجة إليه، وتلح بحفظه والعناية به، فكيف لا يأتي إلا عن طريق واهية وعلى صور مختلفة؟!

[1] - البخاري : كتاب الدعوات / باب لله مائة اسم غير واحد، ومسلم : كتاب الذكر والدعاء / باب في أسماء الله تعالى .

فالنبي- عليه الصلاة والسلام -لم يبينها لحكمة بالغة، وهي أن يطلبها الناس ويتحروها في كتاب الله وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم - ، حتى يعلم الحريص من غير الحريص.

3- كيفية الاحصاء التي امر بها الحديث[1]: معنى إحصاء هذه التسعة والتسعين الذي يترتب عليه دخول الجنة ليس معنى ذلك أن تكتب في رقاع ثم تكرر حتى تحفظ فقط ، ولكن معني ذلك:

أولا ً: الإحاطة بها لفظاً .

ثانياً : فهمها معنى .

ثالثاً : التعبد لله بمقتضاها ، ولذلك وجهان :

الوجه الأول : أن تدعو الله بها ، لقوله تعالى : ( )[2] بأن تجعلها وسيلة إلى مطلوبك ، فتختار الاسم المناسب لمطلوبك ، فعند سؤال المغفرة تقول : يا غفور ! وليس من المناسب أن تقول : يا شديد العقاب ! اغفر لي ، بل هذا يشبه الاستهزاء ، بل تقول : أجرني من عقابك .

الوجه الثاني : أن تتعرض في عبادتك لما تقتضه هذه الأسماء ، فمقتضى الرحيم الرحمة ، فاعمل الصالح الذي يكون جالباً لرحمة الله ، ومقتضي الغفور المغفرة ، إذاً افعل ما يكون سبباً في مغفرة ذنوبك ، هذا هو معني إحصائها ، فإذا كان كذلك ، فهو جدير لأن يكون ثمناً لدخول الجنة ، وهذا الثمن ليس على وجه المقابلة ،

[1] - ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى في الجزء الثاني في "باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات "ص 183وباب "احترام أسماء الله"ص 257 وباب "قوله تعالى (ولله الاسماء الحسنى ......)"ص314.

[2]- سورة الاعراف اية (180).

ولكن على وجه السبب ، لأن الأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة وليست بدلا ً ، ولهذا ثبت في الحديث الصحيح عن النبي-صلى الله عليه وسلم - قوله : " لن يدخل الجنة أحد بعمله . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمته "[1].

فلا تغتر يا أخي بعملك ، ولا تعجب فتقول : أنا عملت كذا وكذا وسوف أدخل الجنة ، قال تعالى :

[2]، هذا باعتبار ما نراه نحن نحو أعمالنا ، فيجب أن نري لله ألمنه والفضل علينا ، لكن باعتبار الجزاء ، قال تعالى :

[3]، فنؤمن بأن الله تعالى يجزي الإحسان بالإحسان .

4-أسماء الله تعالى من حيث الدلالة [4] :

أسماء الله أعلام وأوصاف،وليست أعلاماً محضة,فهي من حيث دلالتها على ذات الله تعالى أعلام ، ومن حيث دلالتها على الصفة التي يتضمنها هذا الاسم أوصاف،بخلاف أسمائنا،فالإنسان يسمي ابنه محمداً وعلياً دون أن يلحظ معني الصفة ، فقد يكون اسمه علياً وهو من أوضع الناس ، أو عبد الله وهو من أكفر الناس ، بخلاف أسماء الله ، لأنها متضمنة للمعاني ، ف الله هو العلي لعلو ذاته وصفاته ، والعزيز يدل على العزة ، و

---

[1]- البخاري :كتاب الرقاق/ باب القصد والمداومة ، ومسلم : كتاب المنافقين / باب لن يدخل أحد الجنة بعمله .

[2] - سورة الحجرات ايه (17).

[3] - سورة الرحمن ايه (60).

[4] - ذكره الشيخ رحمه الله تعالى في الجزء الثاني في "باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات "ص 183وباب "احترام أسماء الله"ص 257.

الحكيم يدل على الحكمة ، وهكذا .

5-دلالة الاسماء على الصفات: تنقسم إلى ثلاثة أقسام[1] :

الأول : دلالة مطابقة ، وهي دلالته على جميع معناه المحيط به .

الثاني:دلالة تضَمُن ، وهي دلالته على جزء معناه .

الثالث : دلالة التزام على أمر خارج لازم ؛ مثال ذلك : الخالق يدل على ذات الله وحدات ، وعلى صفة الخلق وحدها دلالة تضمن ، ويدل على ذات الله وعلى صفة الخلق فيه دلاله مطابقة ، ويدل على العلم والقدرة دلالة التزام . كما ق

ال الله تعالى : (

)[2] ، فَعَلمْنَا القدرة من كونه خلق السماوات والأرض ، وعَلَمنَا العلم من ذلك أيضاً ، لأن الخلق لابد فيه من علم ، فمن لا يعلم لا يخلق ، وكيف يخلق شيئاً لا يعلمه ؟ !

6- التباين في أسماء الله عز وجل والترادف[3]:

إن أسماء الله مترادفة متباينة ، المترادف : ما أختلف لفظه واتفق معناه ، والمتباين : ما اختلف لفظه ومعناه ، فأسماء الله

[1] - ذكره الشيخ رحمة الله عليه في الجزء الثاني في "باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات "ص 183وباب "احترام أسماء الله"ص 257.

[2] - سورة الطلاق اية (12).

[3] - ذكره الشيخ رحمة الله عليه في الجزء الثاني في "باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات "ص 183وباب "احترام أسماء الله"ص 257.

مترادفة باعتبار دلالتها على ذات اللّه عز وجل لأنها تدل على مسمى واحد ، فالسميع ، البصير ، العزيز ، الحكيم ، كلها تدل على شيء واحد هو اللّه ، ومتباينة باعتبار معانيها ، لأن معنى الحكيم غير معني السميع وغير معني البصير ، وهكذا.

7- هل أسماء اللّه عز وجل غيره أو أسماء اللّه تعالى هي اللّه؟[1]:

إن أُريد بالاسم اللفظ الدال على المسمى ، فهي غير اللّه عز وجل ,وإن أُريد بالاسم مدلول ذلك اللفظ ، فهي المسمي .

فمثلا ً : الذي خلق السماوات والأرض هو اللّه ، فالاسم هنا هو المُسَمّى ، فليست " اللام ، والهاء " هي التي خلقت السماوات والأرض ، وإذا قيل : اكتب باسم اللّه . فكتبت بسم اللّه ، فالمراد به الاسم دون المسمى ، وإذا قيل : اضرب زيداً . فضربت زيداً المكتوب في الورقة لم تكن ممتثلا ً ، لأن المقصود المسمى ، وإذا قيل : اكتب زيد قائم فالمراد الاسم الذي هو غير المسمى.

8- أقسام الأسماء من حيث التعدي[2]:

تنقسم اسماء اللّه تعالى الى

أ- متعديه : فمثلا ً : السميع من أسمائه تعالى السميع ، وله دالة على صفة السمع ، لهذا السمع حُكماً وأثراً وهو أنه يسمع به ، كما قال تعالى : (

---

[1] - ذكره الشيخ رحمه اللّه تعالى في الجزء الثاني باب "احترام اسماء اللّه" ص257.
[2] - ذكره الشيخ رحمه اللّه تعالى في الجزء الثاني "باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات "ص 183.

)[1].

ب- غير متعدية :أما إن كان الاسم غير متعد ، كالعظيم ، والحي ، و الجليل ، فتثبت الاسم والصفة ، ولا حكم له يتعدى إليه .

9- كيفية الايمان باسماء الله تعالى [2]: أسماء الله عز وجل لا

يتم الإيمان بها إلا بثلاثة أمور إذا كان الاسم متعدياً : الإيمان بالا سم اسماً لله ، والإيمان بما تضمنه من صفة وما تضمنه من أثر وحكم فالعليم مثلا ً لا يلم الإيمان به حتى نؤمن بأن العليم من أسماء الله ، ونؤمن بما تضمنه من صفة العلم ، ونؤمن بالحكم المرتب على ذلك ، وهو أنه يعلم كل شيء ، وإذا كان الاسم غير متعد ، فنؤمن بأنه من أسماء الله وبما يتضمنه من صفة

10 – اسماء الله تعالى من حيث الخصوصية[3]:

أن من أسماء الله ما يختص به ، مثل الله ، الرحمن ، رب العالمين ، وما أشبه ذلك ، ومنها ما لا يختص به ، مثل : الرحيم ، السميع العليم ، قال تعالى :

[4] وقال تعالى

عن النبي – صلى الله عليه وسلم :

[5].

وأسماء الله تنقسم إلى قسمين :

الأول : ما لا يصح إلا الله ، فهذا لا يسمى به غيره ، وإن سمي

---

[1] - سورة المجادلة اية (1).
[2]- ذكره الشيخ رحمه الله تعالى في الجزء الثاني باب "احترام اسماء الله" ص257.

[3] - نفس الموضع السابق .
[4]- سورة الانسان اية (2).
[5] - سورة التوبة اية (128).

وجب تغييره ، مثل : الله ، الرحمن ، رب العالمين ، وما أشبه ذلك .

الثاني : ما يصح أن يوصف به غير الله ، مثل : الرحيم ، والسميع و البصير ، فإن لوحظت الصفة منع من التسمي به ، وإن لم تلاحظ الصفة جاز التسمي به على أنه علم محض .

11- النهي عن ذكر ما لا تحتمله افهام العامة [1]: لأن بعض الصفات لا تحتملها أفهام العامة فيمكن إذا حدثتهم بها كان لذلك أثر سيئ عليهم ، كحديث النزول إلى السماء الدنيا مع ثبوت العلو، فلو حَدّثت العاميّ بأنه نفسه ينزل إلى السماء الدنيا مع علوه على عرشفه، فقد يفهم أنه إذا أنزل؛ صارت السماوات فوقه وصار العرش خالياً منه، وحينئذ لا بد في هذا من حديث تبلغه عقولهم فَتُبين لهم أن الله عز وجل ينزل نزولا ً لا يماثله نزول المخلوقين مع علوه على عرشه، وأنه لكمال فضله ورحمته يقول: "من يدعوني فأستجيب له.." [2]الحديث.

والعامي يكفيه أن يتصور مطلق المعنى ، وأن المراد بذلك بيان فضل الله عز وجل في هذه الساعة من الليل.

سؤال هل يجوز التسمي بأسماء االله والوصف بأوصافه ؟[3]

ولا يلزم من اتفاق الاسمين اتفاق المسميين، فإذا كان الإنسان رؤوفاً ، فلا يلزم أن يكون مثل الخالق، فلا تقل: إذا كان الإنسان سميعاً بصيراً عليماً لزم أن يكون مثل الخالق، لأن الله سميع بصير عليم،

---

[1] - ذكره الشيخ رحمه الله تعالى في الجزء الثاني باب "من جحد شيئا من الاسماء والصفات "ص 193 .

[2] - البخاري (كتاب / التهجد / باب الدعاء والصلاة من آخر الليل356/1)، ومسلم (صلاة المسافرين / باب الترغيب في الدعاء521/1).

[3] - ذكره الشيخ رحمه الله تعالى في الجزء الأول باب"ما جاء في حماية المصطفى – صلى الله عليه وسلم -جناب التوحيد" ص443.

كما أن وجود الباري سبحانه لا يستلزم أن تكون ذاته كذوات الخلق، فإن أسماءه كذلك لا يستلزم أن تكون كأسماء الخلق، وهناك فرق عظيم بين هذا وهذا.

ثانيا : قواعد الصفات

الصفات :جمع صفة وهي ما قام بالشيء من معان حسية ونعوية لتميزه عن غيره .

والمراد الصفات هنا صفات الله عز وجل ، والفرق بين الاسم والصفة أن الاسم ما تسمي به الله والصفة ما اتصف بها .

وقد ذكر الشيخ في كتاب القول المفيد على كتاب التوحيد جملة من هذه الصفات نذكرها في الاتي :

1- تنقسم صفات الله إلى ثلاثة أقسام[1] :

الأول الصفات الذاتية : هي الملازمة لذات الله ، والتي لم يزل ولا يزال متصفاً بها ، مثل : السمع والبصر وهي معنوية ، لأن هذه الصفات معانٍ .

الثاني الصفات الفعلية : هي التي تتعلق بمشيئته إن شاء فعلها وإن لم يشأ لم يفعلها ،

مثل:النزول إلى السماء الدنيا ، والاستواء على العرش ، والكلام من حيث آحاده ، والخلق من حيث آحاده ، لا من حيث الأصل ، فأصل الكلام صفة ذاتية ، وكذلك الخلق .

الثالث الصفات الخبرية : هي أبعاض وأجزاء بالنسبة لنا ، أما بـ النسبة لله ، فلا يقال هكذا ، بل يقال : صفات خبرية ثبت بها الخبر من الكتاب والسنة ، وهي ليست معنىً ولا فعلا ً ، مثل : الوجه ، و العين ، والساق ، واليد .

[1] - ذكره الشيخ رحمه الله تعالى في الجزء الثاني باب " من جحد شيئا من الاسماء والصفات "ص187.

2- باب الصفات أوسع من الأسماء[1] :

لأن كل اسم متضمن لصفة ، وليس كل صفة تكون اسماً ، وهناك صفات كثيرة تطلق على الله وليست من أسمائه ، فيوصف الله بكلا م والإرادة ، ولا يسمي بالمتكلم أو المريد .

3- الصفات من حيث الثبوت[2] :

تنقسم صفات الله عز وجل الى :

أ- صفات ثبوتية :هي تثبت لله عز وجل كمال الصفة .

ب- صفات سلبية :هي ما نفيها يثبت كمال ضدهافإذا نفي الله عن نفسه شيئاً من الصفات ، فالمراد انتفاء تلك الصفة عنه لكمال ضدها ، كما قال تعالى : [3] ، السنة : النعاس ، والنوم : الإغفاء العميق ، وذلك لكمال حياته وقيوميته ، إذ لو كان ناقص الحياة لا حتاج إلى النوم ، ولو نام ما كان قيوماً على خلقه ، لأنه حين ينام لا يكون هناك من يقوم عليهم ولهذا كان أهل الجنة لا ينامون لكمال حياتهم ، ولأن النوم في الجنة يذهب عليهم وقتاً بلا فرح ولا سرور ولا لذة ، لأن السرور فيها دائم ، ولأن النوم هو الوفاة الصغرى ، والجنة لا موت فيها ؛ وليس في صفات الله محض ، لأن النفي المحض عدم لا ثناء فيه ولا كمال ، بل هو لا شيء ، ولأن النفي أحياناً يرد لكون غير قابل له ، مثل قولك : الجدار لا يظلم .وقد يكون نفي الذم ذماً .

[1] - ذكره الشيخ رحمه الله تعالى في الجزء الثاني باب " من جحد شيئا من الاسماء والصفات "ص187.
[2] - ذكره الشيخ رحمه الله تعالى في الجزء الثاني باب "ما جاء في قول الله تعالى (وما قدروا الله حق قدره.....)ص545 .
[3]- سورة البقرة اية (255).

4- سلامة صفات الله عز وجل من كل نقص [1]:

لأن صفاته عليا كاملة كما أن أسماءه حسنى ، والدليل على أن صفاته عليا

قوله تعالى :

2

وقوله تعالى :

والمثل الأعلى : الوصف الأكمل ، فإذا قلنا : السلام على الله أوهم ذلك أن الله سبحانه قد يلحقة النقص ، وهذا ينافي كمال صفاته .وموضوع هذا الباب سلامة صفاته من كل نقص ، وهذا يتضمن كمالها ، إذ لا يتم الكمال إلا بإثبات صفات الكمال ونفي ما يضادها ، فإنك لو قلت : زيد فاضل أثبت له الفضل ، وجاز أن يلحقه نقص ، وإذا قلت : زيد فاضل ولم يسلك شيئاً من طرق السفول ، فالآن أثبت له الفضل المطلق في هذه الصفة .والرب سبحانه وتعالى ينصف بصفات الكمال ، ولكنه إذا ذكر ما يضاد تلك الصفة صار ذلك أكمل ، ولهذا أعقب المؤلف رحمه الله الباب السابق بهذا الباب إشارة إلى أن الأسماء الحسنى والصفات العلى لا يلحقها نقص .[3]

والسلام اسم ثبوتي سلبي .

فسلبي : أي أنه يراد به نفي كل نقص أو عيب يتصوره الذهن أو يتخيله العقل ، فلا يلحقه نقص في ذاته أو صفاته أو أفعاله أو

---

[1] - ذكره الشيخ رحمه الله تعالى في الجزء الثاني باب "لا يقال السلام على الله "ص 325.

[2] - سورة النحل اية (60).

[3] - سورة الروم اية (27).

أحكامه .

وثبوتي : أي يراد به ثبوت هذا الاسم له ، والصفة التي تضمنها وهي السلامة .

5- القاعدة العامة عند اهل السنة[1] :ما يجب تجاه الصفات:

يجب في كل صفة أثبتهاالله عز وجل لنفسه أمران :

أ- إثباتها على حقيقتها وظاهرها : إن كل ما وصف الله به نفسه ، فهو حق على حقيقته **ب- الحذر من التمثيل أو التكييف :**

أما التمثيل ، فلقوله تعالى :

)[2]، وقوله : (

)[3].

والتعبير بنفي التمثيل أحسن من التعبير بنفي التشبيه ، لوجوه ثلاثة :

أحدهما : أن التمثيل هو الذي جاء به القرآن وهو منفي مطلقاً ، بخلاف التشبيه ، فلم يأت القرآن بنفيه .

الثاني : أن نفي التشبيه على الإطلاق لا يصح ، لأن كل مَوجودَيْن فلا بد أن يكون بينهما قدُر مشترك يشتبهان فيه ويتميز كل واحد بما يختص به ، فـ : " الحياة " مثلا ً وصف ثابت في الخالق والمخلوق ، فبينهما قدر مشترك ، ولكن حياة الخالق تليق به وحياة المخلوق تليق به .

الثالث : أن الناس اختلفوا في مسمى التشبيه ، حتى جعل بعضهم

[1] - ذكره الشيخ رحمه الله تعالى في الجزء الاول باب "ما جاء ان بعض هذه الامة يعبد الاصنام " ص458وفي الجزء الثاني باب " من جحد شيئا من الاسماء والصفات "ص187.

[2] - سورة الشورى اية (11).

[3] - سورة النحل اية (74).

إثبات الصفات التي أثبتها اللّه لنفسه تشبيهاً ، فإذا قيل من غير تشبيه ، فُهمَ هذا البعض من هذا القول نفي الصفات التي أثبتها اللّه لنفسه .

- اثبات الصفات لايلزم التمثيل[1] :

لأن النّافين للصفات زعموا أن إثبات الصفات إشراك باللّه - عز وجل ـ، حيث قالوا: يلزم من ذلك التمثيل، لكننا نقول: للخالق صفات تختص به، وللمخلوق صفات تختص به.

وأما التكييف : فلا يجوز أن نُكيّف صفات اللّه ، فمن كيّف صفة من الصفات ، فهو كاذب عاص ، كاذب لأنه قال بما لا علم عنده فيه ، عاص لأنه واقع فيما نهي كاذب عاص ، كاذب لأنه قال بما لا علم عنده فيه ، عاص لأنه واقع فيما نهي اللّه عنه وحَرّمه في قوله تعالى : [2] ، وقوله تعالى :

( )بعدقوله:

[3] ، ولأ

نه لا يمكن إدراك الكيفية ، لقوله تعالى (

)

وقوله[4] :

.وسواء كان التكييف باللسان [5]

تعبيراً أو بالجنان تقديراً أو بالبيان تحريراً ، ولهذا قال مالك رحمه

---

[1] - ذكره الشيخ رحمه الله تعالى في الجزءالأول باب "فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب" ص68.

[2] - سورة الأسراء اية (36).

[3] - سورة الأعراف اية (33).

- -[4] سورة طه اية (110).

[5] - سورة الانعام اية (103).

الله حين سئل عن كيفية الاستواء : " الكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعه " ، وليس معنى هذا أن لا نعتقد أن لها كيفية ، بل لها كيفية ، ولكنها ليست معلومة لنا ، لأن ما ليس له كيفية ليس بموجود ، فالا ستواء والنزول واليد والوجه والعين لها كيفية ، لكننا لا نعلمها ، ففرق بين أن نثبت كيفية معينه ولو تقديراً وبين أن نؤمن بأن لها كيفية غير معلومة ، وهذا هو الواجب ، فنقول : لها كيفية ، لكن غير معلومة .فإن قيل : كيف يُتَصَوّر أن نعتقد للشيء كيفية ونحن لا نعلمها ؟أجيب : إنه متصور ، فالواحد منا يعتقد أن لهذا القصر كيفية من داخله ، ولكن لا يعلم هذه الكيفية إلا إذا شاهدها ، أو شاهد نظيرها ، أو أخبره شخص صادق.

فصل

الفرق بين افعال الله تعالى ومفعولاته[1]

هناك فرق معنوي، وهو أن الأشياء المكروهة لا تنسب إلى إرادة الله، بل تنسب إلى فعله، أي: مفعوله.فالمس من فعل الله، والضر من مفعولاته، فـالله لا يريد الضر لذاته، بل يريد لغيره، لما يترتب عليه من الخير، ولما وراء ذلك من الحكم البالغة، وفي الحديث القدسي:"إن من عبادي من لو أغنيته أفسده الغنى [2].

أما الخير، فهو مارد لله لذاته، ومفعول له، ويقرب من هذا ما في سورة الجن: (

.[3]

فإذا أصيب الإنسان بمرض، فـالله لم يرد به الضرر لذاته، بل أراد المرض، وهو يضره، لكن لم يرد ضرره، بل أراد خيراً من وراء ذلك، وقد تكون الحكمة ظاهرة في نفس المصاب، وقد تكون ظاهرة في غيره، كما قال تعالى: (

.[4]

فالمهم أنه ليس لنا أن نتحجر حكمة الله، لأنها أوسع من عقولنا، لكننا نعلم علم اليقين أن الله لا يريد الضرر لأنه ضرر، فالضرر عند الله ليس مراداً لذاته، بل لغيره، ولا يترتب عليه إلا الخير، أما الخير،

---

[1] - بالجمع بين ما ذكره الشيخ رحمه الله تعالى في الجزء الأول باب"من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره "ص 265وباب ص253وفي الجزءالثاني باب ص414.

[2] - رواه الطبراني من حديث انس.

[3] - سورة الجن الآية (10)

[4] - سورة الانفال اية (25).

فهو مراد لذاته، ومفعول له، والله أعلم بما أراد بكلامه، لكن هذا الذي يتبين لي.

- قال تعالى ( )"[1]، أي: من شر الذي خلق، لأن الله خلق كل شيء: الخير والشر، ولكن الشر لا ينسب إليه، لأنه خلق الشر لحكمة، فعاد بهذه الحكمة خيراً، فكان خيراً.

وعلى هذا نقول: الشر ليس في فعل الله, بل في مفعولاته .

وعلى هذا تكون "ما" موصولة لا غير، أي: من شر الذي خلق، لأ نك لو أولتها إلى المصدرية وقلت: من شر خلقك، لكان الخلق هنا مصدراً يجوز أن يراد به الفعل، ويجوز أيضاً المفعول، لكن لو جعلتها اسماً موصلا ً تعين أن يكون المراد بها المفعول، وهو المخلوق.

والسؤال الان اذا كان القدر من الله؛؛ فكيف يقال : الإيمان بـ القدر خيره وشره والشر لا ينسب إلى الله ؟

فالجواب : أن الشر لا ينسب إلى الله ، قال النبي – صلى الله عليه وسلم _ : " **والشر ليس إليك** " [2]، فلا ينسب إليه الشر لا فعلا ً ولا تقديراً ولا حكماً ، بل الشر في مفعولات الله لا في فعله ، ففعله كله خير وحكمة ، فتقدير الله لهذه الشرور له حكمة عظيمة ، وتأمل قوله تعالى :

[3] ، تجد أن هذا الفساد الذي ظهر في البر و البحر كان لما يرجى به من العاقبة الحميدة ، وهي الرجوع إلى الله عز وجل ، ويظهر الفرق بين الفعل والمفعول في المثال

---

[1] - سورة الفلق اية (2).
[2]- مسلم برقم 771.
[3]- سورة الروم اية(41).

التالي :

ولدك حينما يشتكي ويحتاج إلى كي تكويه بالنار ، فالكي شر ، لكن الفعل خير ، لأنك تريد مصلحته ، ثم إن ما يقدره الله لا يكون شراً محضاً ، بل في محله وزمانه فقط ، فإذا أخذ الله الظالم أخذ عزيز مقتدر ، صار ذلك شراً بالنسبة له ، وقد يكون خيراً له من وجه آخر ، أما لغيره ممن يتعظ بما صنع الله به ، فيكون خيراً ، قال تعالى في القرية التي اعتدت في السبت :

.[1]

وإنما الشر في المقضي ، أما قضاء الله نفسه ، فهو خير ، و الدليل قول النبي -صلى الله عليه وسلم - " **الخير بيديك** ، و الشر ليس إليك " [2]، ولم يقل : والشر بيديك ، فلا ينسب الشر إلى الله أبداً ، فضلا ً عن أن يكون بيديه ، فلا ينسب الشر إلى الله لا إرادة ولا قضاء ، فالله لا يريد بقضاء الشر شراً ، لكن الشر يكون في المقضي ، وقد يلائم الإنسان وقد لا يلائمه ، وقد يكون طاعة وقد يكون معصية ، فهذا في المقضي ، ومع ذلك ، فهو وإن كان شراً في محله فهو خير في محل آخر ، ولا يمكن أن يكون شراً محضاً ، حتى المقضي وإن كان شراً ليس شراً محضاً ، بل هو شر من وجه خير من وجه ، أو شر في محل خير في محل آخر .

---

[1]- سورة البقرة اية(66).
[2] -سبق تخريجه.